**المحاضرة الرابعة**

**مفهوم الشعر عند النقاد المشارقة والمغاربة**

**مفهوم الشعر:**

لغة: ورد في لسان العرب في مادة شعر: " الشعر منظوم القول، غلب على شرفه بالوزن والقافية... وربما سموا البيت الواحد شعرا حكاه الأخفش... وقال الأزهري: الشعر... المحدود بعلامات لا يجاورها، والجمع أشعار، وقائله شاعر لأنه يَشعرُ ما لا يشعرُ غيره أي يعلم، وشعر الرجل يشعر شعرا أو شعرا وشعر، وقيل: شعر قال الشعر، وشعر أجاد الشعر ورجل شاعر والجمع شعراء... ويقال: شعرت لفلان أي قلت له شعرا... والمتشاعر: الذي يتعاطى قول الشعر... ويشعر شاعر جيد..."[[1]](#footnote-1).

فالملاحظ على هذا المعنى اللغوي، أنه يركز على تخصيص الشعر بالوزن والقافية، كما يشير إلى الفطنة والعلم، أي التفطن والشعور بما لا يشعر به الغير، وهكذا يكون الفعل شعر بمعنى أجاد قول الشعر، أما تشاعر فهو من يتعاطى قول الشعر وليس بشاعر.

1**- مفهوم الشعر عند النقاد المشارقة**

**مفهوم الشعر عند الجاحظ (ت255) :**

من المحاولات الجادة في تعريف الشعر والتي تضع بين أيدينا مفهوما متطورا له، ما قدمه الجاحظ في هذا المقام، على أن مفهوم الشعر ليس واحدا عند أهل عصره، فمن الناس من يرى الشعرية في المعنى الحكيم، ومنهم من يراها في براعة التشكيل والقدرة على تصوير المعاني، ولأجل ذلك يستنكر الجاحظ الاستحسان الذي لقيه هذان البيتان ، فيقول:" وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا أبدا...وهما

لا تحسبن الموت موت البـــلى فإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكــــــــــــن ذا أفظع من ذاك لذل السؤال

وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي القروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[[2]](#footnote-2) . ونفهم من هذا أن الجاحظ لا يرى المعنى الحكيم وحده شعرا، فإن المعاني حظ جميع الناس، وإنما الشعر عنده تشكيل لغوي مميز، ومن ثم فإن المعنى الحكيم إذا لم يقدم في شكل لغوي جميل مؤثر فإنه يفقد صفة الشاعرية، وعلى الشاعر أن يتريث في تسجيل إبداعه، فليس كل ما يجول في خاطره يثبته فقد قيل للخليل بن أحمد: ما لك لا تقول الشعر؟ فقال: الذي يجيئني لا أرضاه والذي أرضاه لا يجيئني ثم يقول: " فأنا أستحسن الكلام، كما أستحسن جواب الأعرابي حين قال له: كيف تجدك؟ قال: أجدني. أجد ما لا أشتهي، وأشتهي ما لا أجد".[[3]](#footnote-3) وقد كان لعبارة الجاحظ هذه صدى كبيرا عند النقاد الذين جاءوا من بعده، حتى أننا نستطيع القول مع مصطفى ناصف "أن النقد العربي كله لا يعدو أن يكون حاشية متوسطة على عبارة الجاحظ"[[4]](#footnote-4) ومن ثم أصبح التسابق بين الشعراء والتفاضل بينهم، ميدانه هو اللفظ لا المعنى والحكم على الجيد منهم يقوم على ما عمله باللفظ فقط، ولذلك فإن الشعر الذي يتكئ على المعاني بشدة لا بد أن يسقط تماما عند الجاحظ ومن اعتنق مفهومه للشعر.

**مفهوم الشعر عند ابن طباطبا (ت322):**

يقول ابن طباطبا في تعريفه للشعر: " الشعر -أسعد الله- كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع، وفسد على الذوق. ونظمه معلوم محدود، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه."[[5]](#footnote-5) . وما يلفت الانتباه في هذا التعريف هو التركيز على الشكل الظاهري للشعر أو الانتظام الإيقاعي للكلمات، وهو يربطه بصحة الطبع والذوق، بمعنى أن المرء لا يصير شاعرا إلا بالاستعداد النفسي للنظم. فالمعرفة العروضية لا تخلق شاعرا، إلا إذا تحولت تلك المعرفة المستفادة كالطبع، وهذا يعني أن ابن طباطبا يؤكد أنه لا صنعة بدون طبع، وأن الطبع جانب مهم من جوانب الصنعة " ومتى لم يكن ثم طبع لم تفد الأدوات شيئا، فمثل الطبع –فيما يقال- كمثل النار الكامنة في الزناد، ومثل الأدوات كمثل الحراق والحديدة التي يقدح بها الزناد: ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا يفيد ذلك الحراق ولا تلك الحديدة شيئا "[[6]](#footnote-6).

2**- مفهوم الشعر عند النقاد المغاربة:**

**مفهوم الشعر عند ابن رشيق القيرواني(ت 456هـ) :**

يبدأ ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة بباب في فضل الشعر، بعد أن قسم كلام العرب إلى منظوم ومنثور يقول: " وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحائها الأجواد، لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تم لهم وزنه، سموه شعرا. لأنهم قد شعروا به أي فطنوا"[[7]](#footnote-7). وما يلفت الانتباه في هذا التعريف إطلاقه لفظ المنظوم على الشعر وأما قوله: " فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لأنهم شعروا به أي فطنوا " ويبدو أن هذه العبارة أخذها ابن رشيق عن أستاذه عبد الكريم النهشلي وهو بصدد تعريفه للشعر بأنه الفطنة والشعور متمثلا بقول العرب " ليت شعري بمعنى ليت فطنتي ( والشعر عندهم الفطنة، ومعنى قولهم ليت شعري أي ليت فطنتي) "[[8]](#footnote-8). ويواصل ابن رشيق تعميقه لمفهوم الشعر كاشفا عن مكوناته فيقول: " الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن المعنى القافية، فهذا هو حد الشعر لأن من الكلام موزونا مقفى، وليس بشعر، لعدم القصد والنية، كأشياء أنزلت من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك مما لم يطلق عليه بأنه شعر. والمتزن ما عرض على الوزن فقبله، فكأن الفعل صار له.[[9]](#footnote-9)

وما يلاحظ على هذا التعريف أنه يشترك مع قدامة بن جعفر في وضع حد للشعر وهو اللفظ والوزن، القافية والمعنى، مضيفا إليه شرط النية غير أن ابن رشيق لا يكتفي بهذه المكونات بل يكشف عن دور الشعر في تحريك النفوس، وهذا طبعا لا يتأتى إلا عن طريق الخيال والعاطفة فيقول: " الشعر ما أطرب وهز النفوس وحرك الطباع "[[10]](#footnote-10) ويقول أيضا: " وسمي الشاعر شاعرا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره "[[11]](#footnote-11). وهكذا تتبدى لنا أهمية هذه النظرة المتكاملة عند ابن رشيق لأنها ترتكز على الذوق والثقافة في إدراك عناصر الجمال الشعري.

**مفهوم الشعر عند حازم القرطاجني (ت 684هـ):**

يقول حازم: " الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقه أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك. وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها."[[12]](#footnote-12) ويقول في موضع آخر من المنهاج: " الشعر كلام مخيل موزونا، مختص في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك والتئامه من مقدمات مخيلة، صادقة أو كاذبة، لا يشترط فيها – بما هي شعر – غير التخييل."[[13]](#footnote-13)

إن أول ما يميز الشعر عند حازم، هو كونه موزون مقفى، وهذا يعود بنا إلى تعريف قدامة بن جعفر في القرن الرابع الهجري، كما يكشف حازم عن قصد الشاعر من إنشاء الشعر والذي يتمثل في إحداث انفعال في نفس المتلقي، إما أن يحبب إليها شيئا أو يكرّه إليها شيئا، ويترتب عن ذلك تصرف خاص من المتلقي، إما طلب الشيء أو الهرب منه، والشيء الذي يجعل النفس تحب أو تكره يسمى بالتخييل. وهكذا تظهر لنا أهمية عنصر التخييل في تصور حازم لأنه " لا يسمى شعرا بمقدار ما فيه من عنصر الصدق والكذب وإنما بمقدار ما فيه من محاكاة أو تخييل."[[14]](#footnote-14)

1. [↑](#footnote-ref-1)
2. [↑](#footnote-ref-2)
3. [↑](#footnote-ref-3)
4. [↑](#footnote-ref-4)
5. . [↑](#footnote-ref-5)
6. [↑](#footnote-ref-6)
7. [↑](#footnote-ref-7)
8. [↑](#footnote-ref-8)
9. [↑](#footnote-ref-9)
10. [↑](#footnote-ref-10)
11. [↑](#footnote-ref-11)
12. . [↑](#footnote-ref-12)
13. [↑](#footnote-ref-13)
14. [↑](#footnote-ref-14)